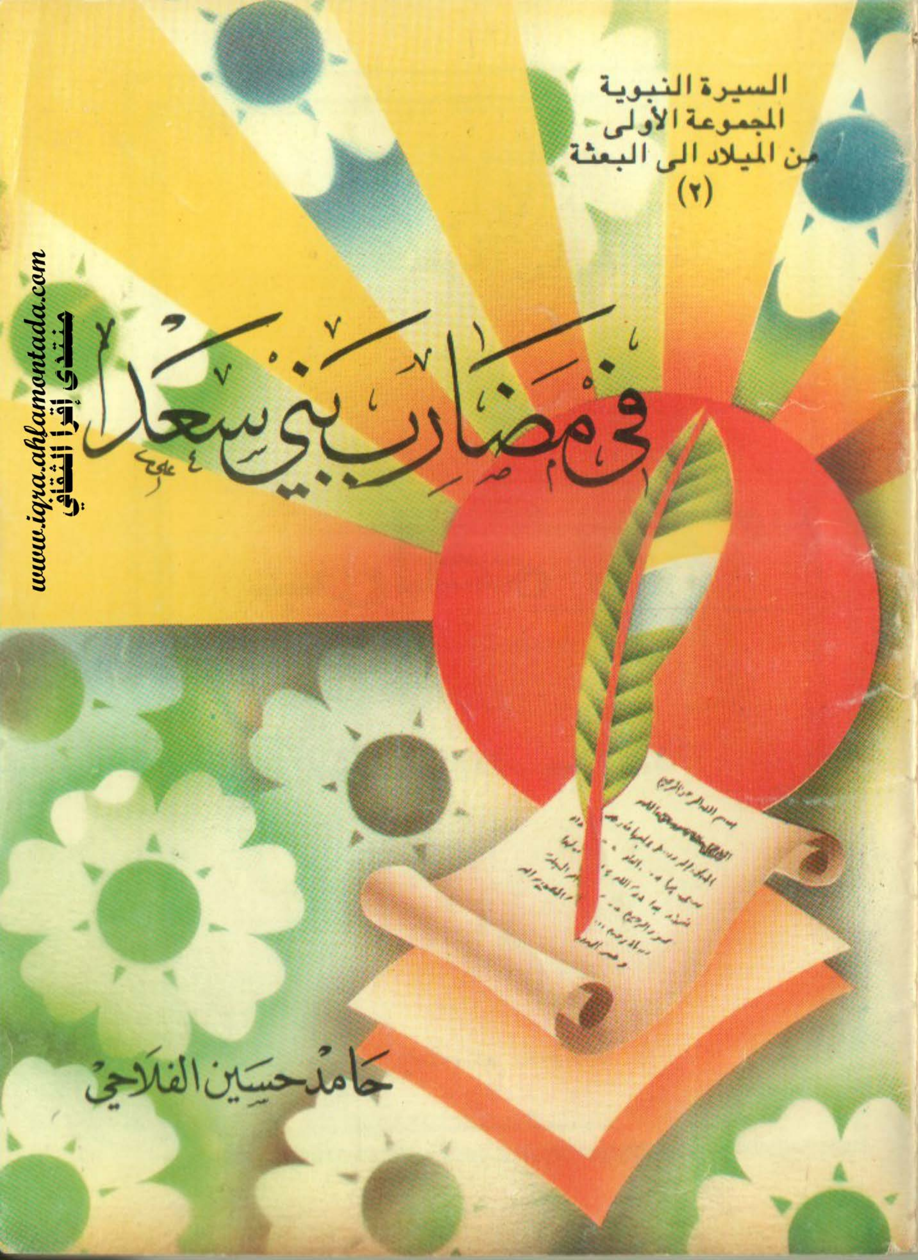

السيرة النبوية
المجموعة الأولى
من الميلاد الى البعثة
(٢)
في مضارب بني سعد
حامد حسين الفلاحي

السيرة النبوية
المجموعة الأولى
من الميلاد الى البعثة
(٢)

في مضارب بني سعد

حامد حسين الفلاحي

بسم الله الرحمن الرحيم

ثويبة

وأرضعته بعد ولادته (ثويبه) ، وكانت جاريةً لعمه (أبي لهب) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر ذلك لثويبة ، وبعد أن هاجر إلى المدينة كان يبعث بالهدايا ، لها ولابنها (مسروح) . ولما فتح مكة سأل عنها فقيل له أنها ماتت ، هي وابنها .

حليمة السعدية

من مضارب[1] (بني سعد) خرجت (حليمه) مع زوجها (الحارث) وطفلها الصغير . وكان الثلاثة يركبون أتاناً[2] هزيلةً !

كان ذلك في سنةٍ قل فيها المطر وشح[3] فيها الطعام ، حتى أن حليمة كانت لا تجد طماماً لطفلها ، فكان

(١) مَضارب : مساكن (٢) الاتان : انثى الحمار

(٣) شَحَّ : قلّ ، ندرَ

يبكي أكثر الليل من الجوع !

وفي أكثر الطريق كانت أتان حليمة تتخلف عن القافلة لضعفها وهزالها .

وفي مكة راحت نساء بني سعدٍ يبحثن عن الاطفال الرضع ، وعرض عبد المطلب حفيده (محمداً) عليهن فسألنه : ماذا يعمل أبوه ؟ قال :

إنه يتيم ، قلن : إذا كان يتيماً فمن سيدفع لنا أجر الرضاعة ؟

ولم ترض إحداهن أن ترضعه !

وحين كانت قافلة بني سعد تتأهب للعودة الى ديارها لم تبق مرضعة إلا اخذت معها رضيعاً ، إلا حليمة السعدية !!



بركة النبي

«صلى الله عليه وسلم»

قالت حليمة لزوجها الحارث :

- والله إني لأكره أن أرجع ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه .

قال الحارث :

- نعم يا حليمة ، وعسى الله أن يجعل لنا به بركة .

وجاءت حليمة إلى أمه فأخذته ، وحين وضعته في حجرها لترضعه درَّ ثديها لبناً غزيراً ! فشرب منه حتى روِي ، ثم شرب معه أخوه- ابن حليمة - حتى روي !

ثم قام الحارث إلى ناقته فحلبها فدرت هي الأخرى لبناً كثيراً فشرب وشربت حليمة ، ثم قال الحارث :ياحليمة لقد أخذت طفلاً مباركاً .



ثم باتا بخير ليلة .

حمار حليمة

وفي الصباح انطلقت القافلة قاصدة ديار بني سعد ، وفوجئَ الركب[٤] بأتان حليمة تسرع في مشيتها وتتقدم القافلة ، وحاولت النساء أن يلحقن بها فلم يقدرن ، وعندما تعبت دوابهن قلنَ :

– ويحك ياحليمة . إنتظري ، أليست هذه أتانك الهزيلة التي خرجت عليها !؟

وتقول حليمة : بلى ، والله إنها لهيَ !

وتقول النساء : والله إن لها لشأناً !!

في بادية بني سعد

وكانت تلك السنة سنة عجوفاً[٥] ، أجدبت فيها الأرض ، وقل فيها الزرع ، حتى مايجد احدهم في اغنامه قطرة لبنٍ !

(٤) الركب : القافلة
(٥) عَجوف : شحّ فيها المطر والزرع ، جمعها : عجاف

وحين حل النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حليمة كانت اغنامها تجود بلبن وافر ، فكان بنو سعد يسأل بعضهم بعضاً : ماباك أغنام حليمة تدر لبناً وأغنامنا تعود من المرعى جياعاً هالكة !؟

قال احدهم : لعل الرعاة لا يجدون لها طعاماً .

وقال اخر :مروا رعاتكم فليسرحوا حيث يسرح راعي حليمة .

ولم تدرِ بنو سعد أن ذلك كان ببركة الطفل الرضيع :محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

وحين اصبح عمر النبي صلى الله عليه وسلم سنتين قدمت به حليمة السعدية على امه في مكة ، وكانت حريصة على ان ترده معها الى ديار بني سعد لما رأت من بركته .

قالت حليمة لآمنة :

- لو تركت محمداً عندي حتى يشب [1] .

وترددت آمنة اول الامر ، وأحبت ان يبقى طفلها معها بعـــد ان قضى سنتين كاملتين بعيداً عنها في البادية .

ولكن حليمة ألحت ، ومازالت تكلم آمنة حتى أذنت لها قائلة :

- إرجعي به .

وعادت حليمة إلى البادية فرحة مستبشرة بعودة محمد صلى الله عليه وسلم معها .

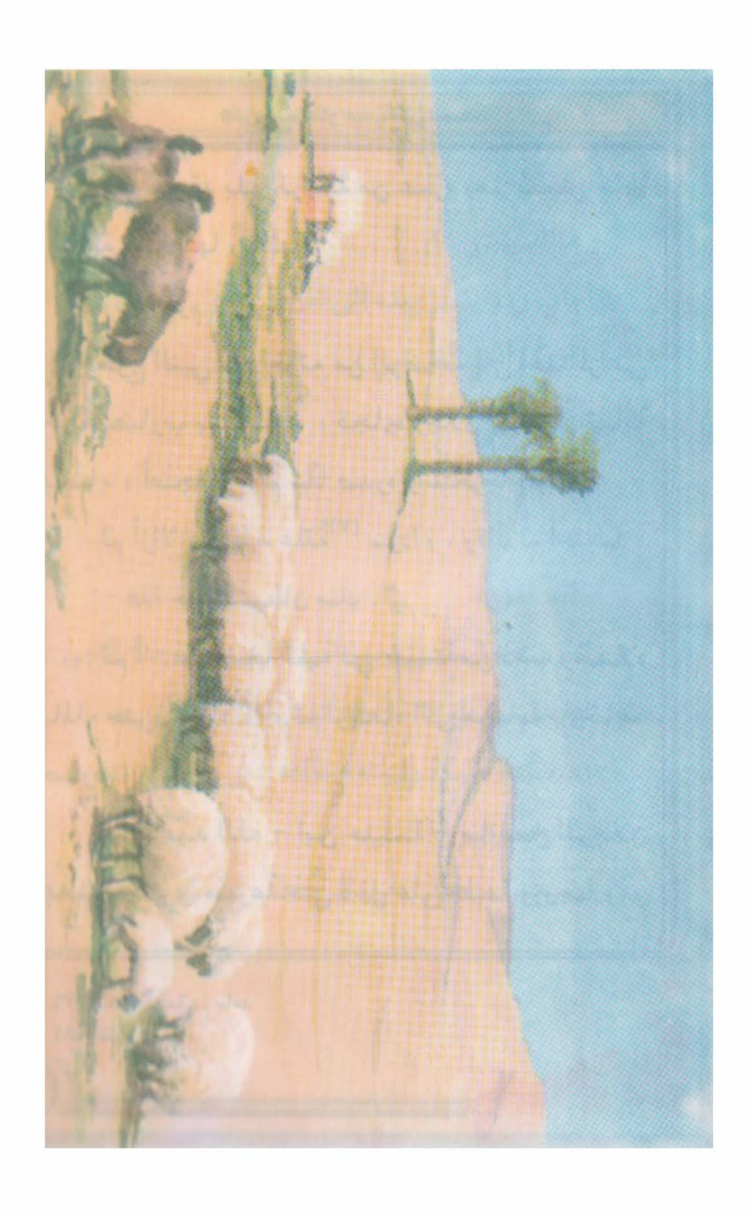
حادثة شق الصدر

في بادية بني سعد عاش النبي صلى الله عليه وسلم يرعى الأغنام مع اولاد حليمة[٦] ، يغدو معهم في الصباح الى المراعي ويعود معهم في المساء اذا رجعوا .

(٦) وهم : عبد الله وأنيسة والشيماء .







وها هو قد بلغ الرابعة من عمره وهو يعيش حياة البادية ببساطتها ونقائها .

وذات يوم ،

خرج النبي مع إخوته من الرضاعة الى احد المراعي حول مضارب بني سعد ، فجاءه رجلان يلبسان ثياباً بيضاء ، أضجعاه ، ثم شقّا صدره واستخرجا قلبهُ !

ثم أزالا عن قلبه علقةً(٧) سوداء ، وقال له أحدهما :

- هذا حظ الشيطان منك .

ثم أ ما وضعا قلبه في طستٍ من ذهب وغسلاه بالماءِ حتى أنقياه(٨) ، ثم ارجعاه الى مكانه ، وخاطا صدره !!

ورأى عبد الله - ابن حليمة - ما فعل الرجلان بمحمد ، فجرى مسرعاً حتى دخل على حليمة وزوجها وهو

(٧) العلقة : قطعة دم جامد
(٨) أنقياه : نظفاه

يلهث ، فسألاه :

- مالك يابني !؟

فأجاب وهو يشير بيده الى المرعى :

- أدركا اخي القريشي !

وسألاه :

- ما به !؟

قال :

- لقد قتل !

واسرعت حليمة وزوجها الى المرعى ، فوجدا النبي صلى الله عليه وسلم قائماً وقد تغير لون وجهه !

واحتضنته حليمة وقبلته وسألته :

- ما بك يابني ؟

واخبرهما محمد بخبر الرجلين ، فقال الحارث لحليمة :

- لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد اصابه شيء، فألحقيه بأهله .

وما دار بخلد[9] الحارث ان الرجلين كانا ملكين بعثهما الله تعالى ليطهر قلب النبي من الغِل[10] والحسد وكل حظ للشيطان فيه ، وذلك بعض رعاية الله تعالى له قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وقبل ان يتلقى وحي السماء .

يقول الصحابي(انس بن مالك) رضي الله عنه :

(وقد كنت ارى اثر ذلك المخيط في صدره)[10] .

محمد صلى الله عليه وسلم يعود الى امه

وجاءت حليمة بمحمد الى امه في مكة ، وعجبت آمنة ، لقد كانت حليمة حريصة على بقاء محمد معها في بني

(٩) دار بخلده : خطر على باله ، فطن إليه
(١٠) الغل : الحقد والعداوة
(١١) رواه مسلم - كتاب الايمان

سعد . وسألتها آمنة : مااقدمك ياظئر[١٢] وقد كنت حريصة عليه ؟

قالت حليمة : لقد خشيت ان يؤذيه الغلمان ، فقلت اردّه اليك .

قالت آمنة : أصدقيني الحديث ياحليمة ، ماشأنك ؟

وأخبرتها حليمة بقصة الرجلين وما جرى لمحمد معهما .

فقالت آمنة :أفتخوفت عليه الشيطان ؟

قالت حليمة : نعم .

قالت آمنة :كلا ، والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لابني هذا لشأناً ، أفلا أخبركِ خبره ؟

قالت حليمة : بلى.

قالت آمنة :





(١٢) الظئر : المرضعة لولد غيرها

لقد حملت به فوالله مارأيت من حمل قط كان أخفَّ ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه الى السماء .

دعيه عنك وانطلقي راشدة .



حكمة النشأة في البادية

اعتادت العرب ان ترسل ابناءها بعد الولادة وتلتمس لهم المراضع في البادية لكي ينشأ الطفل في كنف الطبيعة وجوها الطلق ، بعيداً عن صخب المدينة وضوضائها ، ويتذوق هواء البادية المنعش ، ويمرح في ملاعبها الجميلة حيث الماء والعشب والشجر التي تؤلف لوحات جميلة من صنع الله الذي أحسن كل شيء خلقه ، وكل ذلك مما تأنس إليه فطرة الانسان ويتجاوب قلبه معه .

والحياة في البادية تمنح الجسم قوة ونشاطاً قد لا تجده عند أطفال المدينة .

وكان سكان البادية ذوي لسان عربي فصيح ، فكان الطفل يأخذ عنهم تلك الفصاحة في سنيهِ الاولى .



وقد مَنَّ الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ان نشأ في بادية بني سعد - وكانوا من أفصح العرب لساناً - وكان ذلك جزءاً من العناية التي تعهده الله تعالى بها في طفولته .



اقرأ في هذه المجموعة

(١) محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم
(٢) في مضارب بني سعد
(٣) على مائدة بحيرا
(٤) خديجة رضي الله عنها
(٥) بناء الكعبة
(٦) الجاهلية

قريبا إن شاء الله تعالى
المجموعة الثانية
من البعثة الى الهجرة

طبع بموافقة وزارة الاعلام ٢١٧
في٢٥/ ٥/ ١٩٩٤

مطبعة اليرموك